مدارات

«السِّلمية» الإرهابية المزعومة في الأزمة السورية

■ نيبال هنيدي

ادّعوا أنها سلمية وزعموا أنها للديمقراطية، فلماذا كل هذه البهيمية والقتل والتشويه بالجثث؟ ولماذا هذا السلاح الذي أراق دماء شعب سورية وقتل البراءة والأحلام في عيون شبابها وذبح السلام و... السلمية؟

سورية التي تمرّ بمرحلة خطيرة تعيث فيها فساداً تنظيمات وجماعات إرهابية تحقق مصالح مشغليها وتحمل الساطور وتمارس سلوكيات شاذة غريبة ودخيلة على طبيعة المجتمع السوري وليس لها أي علاقة بالمطالب الشعبية والحياتية لأبناء سورية.

فهل يكون تحقيق الحرية بهذه الطريقة من إلغاء الآخر واستئصاله أو عبر سفك الدماء البريئة؟! فالذي قتل الشهيد نضال جنود بوحشية ومثل بجثته في بانياس، اعترف بذلك بعد أن ألقت السلطات السورية المختصة القبض عليه وهو أحد أعضاء المجموعة الإرهابية المسلحة ويدعى عمر عيروط، إذ قال إنه طعن جنود طعنتين بالسكين عندما كان يحتجزه أشخاص فيما أقدم يحيى الريس على طعنه بـ3 طعنات بعد قتله والتمثيل بجثته.

وسيطرة الإخوان المسلمين على واجهة الأحداث منذ بدايتها دليل على النموذج المشوه لاستخدام الإسلام في هذه الحرب الكونية على سورية، والمعروف عن الإخوان كتنظيم في كل العالم أنه يستخدم العنف والمواجهة المسلحة وفكر القاعدة المجرم في كل العمليات الإجرامية التي يقوم بها حباً برؤية أنهار دماء الأبرياء وبعيداً من تطبيق الدين السليم، واستخدام المساجد لتنظيم التظاهرات ما هو إلا محاولة لإثارة الفتنة في أول أيام الأزمة، وأولها ما حصل في الجامع العمري في درعا واستخدامه كمنطلق للأعمال الإرهابية وكمستشفى ميداني ومكان لتصوير مسرحياتهم، كما عثر في بداية الأحداث عام 2012 على نفق لتهريب الأسلحة بقرب الجامع.

وقد أنشأ حزب «النهضة» الإخواني في تونس في بدايات عام 2012 مراكز سرية لتطويع الإرهابيين من كل العالم وقام بإرسالهم إلى سورية بالتعاون مع وكالة الاستخبارات الأميركية في ليبيا، وقد نقلت وكالة «يونايتد برس إنترنشيونال» عن صحيفة « الصريح» التونسية قولها في السادس والعشرين من شهر أيار 2012 أن الأجهزة الأمنية التونسية تنبهت إلى وجود «نشاط مكثف لخلايا سلفية تكفيرية متشددة في عدد من المناطق الحدودية التونسية المحاذية لليبيا، وأن تلك الخلايا تعمل على تجنيد الشباب المتدين، وتعبئته وإرساله للقتال في سورية، وذلك بالتنسيق أيضاً مع المعارضة في إسطنبول التي تتولى إرسالهم للقتال في صفوف ما سمي بالجيش الحر». وكانت السلطات السورية قد أعلنت في وقت سابق اعتقال عدد من التونسيين كانوا قد تسللوا إلى الأراضي السورية عبر تركيا للمشاركة في القتال إلى جانب ما يسمى الجيش السوري الحرّ. كذلك أعلنت مقتل عدد من التونسيين في سورية، فيما قال أهالي مدينة بن قردان التونسية الحدودية مع ليبيا إن 5 شبان من المنطقة قتلوا في سورية مع الجماعات الإرهابية.

ولم نكن في عام 2012 بعد قد سمعنا بجبهة النصرة و«داعش» الإرهابي، ارتكبت أيدي المجموعات الإرهابية مما سمي بـ «الجيش الحر» المجازر المروعة في بلدتي الشومرية وتل دور والحولة بريف حمص، في إطار تصعيد جرائمها وإرهابها الذي تتبعه قبل انعقاد أي جلسة لمجلس الأمن وبالتزامن مع الزيارة المعلنة لكوفي عنان مبعوث الأمم المتحدة إلى سورية، في 2012.

ومن هذه المجازر مجزرة جسر الشغور في الحادي عشر من شهر تموز 2012 والتي ذهب ضحيتها العديد من المدنيين الأبرياء.

كل المحاولات لتشويه الدين المعتدل في بلاد الشام وتدمير الدولة السورية سيكون مصيرها الفشل، لأن سورية بلد له إرث حضاري وتاريخ عريق وستبقى صخرة الصمود التي ستتكسر على أعتابها كل المؤامرات لتستعيد دورها الحضاري في إغناء الإنسانية.

«هيومن رايتس» تتهم المتحاربين باستخدام قنابل عنقودية في ليبيا

كشف مصدر مسؤول في حكومة عبد الله الثني الليبية المعترف بها دوليا وجود معتقلين لديها ينتمون إلى تنظيم «داعش» من جميع دول الخليج ومن جنسيات أخرى.

ونقل عن المصدر أن بين هؤلاء عدداً من السعوديين وقد تم التواصل مع بلادهم لتسليمهم، إلا أن ذلك لم يحدث حتى الآن، مشيراً إلى أن قيادة تنظيم «داعش» في مدينة درنة شرق ليبيا يتولاها سعودي.

وأكد المصدر أيضاً أنه «قبل فترة اعتقل أشخاص عدة في مطار بنغازي، حاولوا السفر بجوازات ليبية مزورة، وبعد الضغط عليهم اعترفوا بهويتهم السعودية، ونيتهم السفر من مطار بنغازي إلى تركيا، ثم الدخول عبر الحدود إلى سورية».

كما نقل عن المصدر الليبي المسؤول أن «التحقيقات أكدت وجود أعداد كبيرة لا يمكن حصرها من المقاتلين الخليجيين والسعوديين مع تنظيم «داعش» في ليبيا، ومن نحاول القبض عليه يقاتل حتى آخر طلقة ثم يفجر نفسه بحزام ناسف».

إلى ذلك، أكدت منظمة هيومن رايتس ووتش أمس وجود أدلة وصفتها بأنها ذات صدقية على استخدام القنابل العنقودية بموقعين على الأقل في ليبيا منذ كانون أول من العام الماضي.

وأشارت المنظمة إلى العثور على بقايا قنابل عنقودية من طراز «آر بي كيه 250- بي تي إيه بي 2.5 إم» تدل حالتها على أنها من بقايا هجمات حديثة في بلدة بن جواد في شباط 2015، وفي مدينة سرت في آذار من العام الجاري، مشددة على أنه لم يتسن لها تحديد المسؤول عن استخدام هذه الذخائر على أساس الأدلة المتاحة.

ولفتت هيومن رايتس ووتش في تقريرها إلى أن بن جواد وسرت تعرضتا أخيراً لقصف من قبل القوات الجوية الليبية، مضيفة أن العميد ركن صقر الجروشي، قائد القوات الجوية الليبية التابعة للحكومة المعترف بها دولياً أكد أن قواته لا تمتلك مثل هذه الذخائر، وأنها تستخدم ذخائر شبيهة بتلك المستخدمة في الحرب العالمية الثانية.

من جهة أخرى، قال رئيس الحكومة الليبية الموازية عمر الحاسي إن المجموعات المسلحة التي تقاتل في مدينة سرت ليس لها انتماء ديني ويدعمها أحمد قذاف الدم، ابن عم القذافي.

وأشار الحاسي في مؤتمر صحافي بالعاصمة طرابلس أول من أمس إلى أن هذه الجماعات المسلحة تقاتل من سماهم بـ«الثوار المكلفين بتحرير الحقول النفطية»، وأنها «لا تقاتل حفتر الذي يرتكب جرائم في حق الليبيين، وإنما تحارب الثوار محاولة ضربهم من الخلف وهو دليل على عدائهم للثورة والثوار».

«داعش» يستعمل غاز الكلور في عبواته المتفجرة ضد القوات العراقية

تقدم بطيء في تكريت بانتظار وصول الدعم

بانتظار وصول تعزيزات عسكرية وأمنية من بغداد ما زالت القوات العراقية تتقدم ببطء في تكريت بسبب وجود المدنيين. وأوضح مصدر عسكري أنه لا يوجد جدول زمني لوصول التعزيزات واستئناف العملية العسكرية بخاصة في ظل انتشار قناصي «داعش» والعبوات الناسفة والمنازل المفخخة والانتحاريين في المدينة.

وأكد المصدر أن القوات المتمركزة ليست بحاجة إلى عدد كبير من العناصر الداعمة «ألف أو ألفين فقط»، مبرزاً الحاجة الملحة لأفراد وجنود مدربين ومحترفين.

ونقلت شبكة «بي بي سي» عن مصدر أمني في قيادة عمليات محافظة صلاح الدين وسط العراق أن «اشتباكات عنيفة تجرى منذ يومين بين القوات الأمنية والحشد الشعبي من جهة وبين مسلحي «داعش» من جهة ثانية في منطقة الفتحة على بعد 35 كيلومتراً شمال شرقي تكريت.

ويشارك نحو 10000 مقاتل من العشائر في معارك تحرير صلاح الدين.

من جهة أخرى، تمكنت القوات الأمنية العراقية بمساندة قوات الحشد الشعبي، أول من أمس، من تحرير حقلي عجيل وعلاس بمحافظة صلاح الدين من سيطرة تنظيم الدولة الإسلامية.

وصرح وزير الدفاع العراقي خالد العبيدي بأن الخطوة الثانية بعد تحرير محافظة صلاح الدين ستكون تحرير الأنبار، مؤكداً أن السلطات العراقية قررت التريث في اقتحام وسط مدينة تكريت وتحريرها بالكامل حفاظاً على أرواح الأهالي وعلى البنى التحتية فيها.

وفي كركوك، بدأتْ قوات الحشد الشعبي بالتدفق إلى مشارف الحويجة بالتنسيق مع الجيش العراقي وقوات البيشمركة تمهيداً لتحريرها من تنظيم «داعش».

وأفاد مصدر بسيطرة قوات البيشمركة والحشد الشعبي على خط كركوك بالكامل.

وأعلن العميد خلف إبراهيم الجبوري أن خمسة آلاف مقاتل من العرب وباقي المكونات ينتظرون وصول السلاح والعتاد لمباشرة تحرير الحويجة والشرقاط ومناطق جنوب غرب كركوك، وفي محور الخازر شرق الموصل صدتْ قوات البيشمركة هجوماً لمسلحي داعش موقعة قتلى وجرحى بين عناصره.

وقال مصدر في البيشمركة إنه سقطت ثلاث قذائف هاون بأطراف أربيل الغربية.

على الصعيد ذاته، أكد مسؤولون عراقيون، استعمال تنظيم «داعش» لقنابل محلية الصنع معبأة بغاز الكلور السام، في هجماته ضد القوات العراقية.

وأفاد المسؤولون أنهم تمكنوا من تفكيك وإبطال مفعول عشرات العبوات التي تحتوي على هذا الغاز الكيماوي، وقد نشروا مقاطع فيديو وصوراً بهذا الشأن.

وفي تصريح لهيئة الإذاعة البريطانية «بي بي سي» قال طاهر حيدر، خبير في تفكيك المتفجرات، إن تنظيم الدولة الإسلامية «داعش» يستعمل غاز الكلور السام في العبوات المحلية الصنع التي يقومون بزرعها على جانبي الطرقات، وتتسبب عند انفجارها بحالات اختناق والتهاب في البلعوم.

وتحدث خبير تفكيك المتفجرات عن حادثة اضطر فيها وفريقه إلى تفكيك قنبلة من هذا النوع، أصدرت غازات صفراء اللون، أحسوا بعد استنشاقها مباشرة بأعراض هذا الغاز الكيماوي السام، مضيفاً أن تفجيراً مماثلاً في تكريت صدر منه اللون ذاته، ما يعني أنه يحتوي غاز الكلور، بحسب إفادته.

وصرحت الباحثة في مركز الخدمات الملكية المتحدة للدراسات والأبحاث جنيفر كول، بأن غاز الكلور قاتل والغرض من استعماله من قبل تنظيم «داعش»هو بث الرعب في صفوف العراقيين.

وأضافت جنيفر كول أنه من السهل الحصول على غاز الكلور من العديد من المصادر الصناعية، مؤكدة أنه سام للغاية ويتسبب بصعوبة شديدة في التنفس وقد يتسبب بالموت في حال استنشاقه لفترة طويلة.

وأفادت الباحثة أن انفجار العبوة في الهواء الطلق يسهل اختفاءه وتنتج منه حالات اختناق فقط.

يذكر أن البريطانيين استخدموا غاز الكلور في الحرب العالمية الأولى.

وكانت سلطات كردستان العراق أعلنت أنها تملك أدلة على أن مسلحي تنظيم «داعش» استخدموا غاز الكلور السام خلال تنفيذهم إحدى الهجمات الإرهابية شمال العراق.

ونقل عن مصدر في حكومة كردستان العراق أن مسلحي التنظيم المتشدد قاموا باستعمال الكلور السام في 23 كانون الثاني الماضي في هجوم إرهابي بسيارة مفخخة يقودها انتحاري غرب الموصل.

ما هو غاز الكلور؟

الكلور هو عنصر كيماوي له العدد الذري 17 والرمز CL، وهو من الهالوجينات ويوجد في المجموعة 17 في الجدول الدوري للعناصر الكيماوية، ونظراً إلى كونه جزءاً من ملح الطعام ومركبات أخرى، فإنه متوفر طبيعياً، ومهم لمعظم أشكال الحياة، بما فيها الجسم البشري.

وغاز الكلور أصفر مخضر، وهو أكثر كثافة من الهواء بمرة ونصف، وله رائحة كريهة، كما أنه سام للغاية، إضافة إلى أنه عامل مؤكسد قوي، مبيض للأقمشة وما إلى ذلك.

ويسبب الكلور في حالته الغازية، تهيج في الجهاز التنفسي بخاصة للأطفال وكبار السن، أما في حالته السائلة فإنه يسبب حروقاً جلدية.

وتم اكتشاف هذا الغاز عام 1774 عن طريق كارل وليهلم شيلي، الذي ظن بطريق الخطأ أنه يحتوي على الأكسجين، وتم إطلاق تسمية الكلور عام 1810 بواسطة همفري دايفي، الذي أصر في ذلك الوقت على أنه عنصر كيماوي.

كما يعد غاز الكلور من أول الغازات السامة التي استعملت كأسلحة في الحروب، وذلك في الحرب العالمية الأولى.

تباين حزبي حيال دعوة «الخليجي» إلى نقل الحوار اليمني إلى الرياض

صنعاء: تشكيل «تكتل إنقاذ» لمناهضة أنصار الله

أعلنت أحزاب ومنظمات وحركات يمنية تشكيل التكتل الوطني للإنقاذ في مواجهة حركة «أنصار الله»، وعلى رأس هذه الأحزاب الإصلاح والناصري والرشاد السلفي والعدالة والبناء. يأتي ذلك في ظل تباين في مواقف القوى بشأن دعوة مجلس التعاون الخليجي لنقل الحوار إلى السعودية.

دعوة مجلس التعاون الخليجي لنقل المفاوضات بين الأطراف السياسية اليمنية إلى الرياض لم تلق تفاعلاً من القوى الرئيسية والفاعلة على رأسها حركة «أنصار الله».

فالحركة تتمسك بضرورة استمرار الحوار في صنعاء مؤكدين عدم استجابة الأطراف السياسية الأخرى لهذه الدعوة باعتبارها عرقلة واضحة للحوار الذي ترعاه الأمم المتحدة.

على الجانب الآخر، يبدو حزب الإصلاح وأحزاب أخرى متحمسين لهذه الدعوة مؤكدين أهمية التفاعل الإيجابي معها.

وسط هذه الأجواء أعلنت ثمانية أحزاب وهي المؤيدة لشرعية هادي والمطالبة بنقل الحوار من صنعاء بينها اللجنة التحضيرية للمؤتمر الشعبي العام في الجنوب والإصلاح والناصري والرشاد السلفي وتكتلات وحركات أخرى عن ما أسمته بالتكتل الوطني للإنقاذ .

هدف التكتل كما يقول قادته استعادة الدولة ورفض سلطة المليشيات وتنفيذ مخرجات الحوار وحماية الدولة والوطن من الانهيار والتفكك.

وفيما يزداد الوضع توتراً في مدينة عدن على وقع معلومات تتحدث عن تجنيد عشرين ألف مقاتل في المنطقة العسكرية الرابعة من قبل الرئيس اليمني الذي تخلى على نحو مفاجئ عن مدير مكتبه أحمد بن مبارك. أصدر هادي قراراً أعاد بموجبه عشرات الضباط الجنوبيين المسرحين في عهد الرئيس السابق علي عبد الله صالح بعد حرب الانفصال في الجنوب عام 1994.

قد لا يكون من الممكن توقع ما ستؤول إليه الأوضاع المتوترة في ظل اتساع الهوة بين القوى السياسية على رغم تأكيدها المتواصل ضرورة العودة إلى طاولة الحوار.

من جهة أخرى، استأنف المبعوث الأممي إلى اليمن جمال بن عمر محادثات التسوية السياسية في صنعاء مع الفرقاء اليمنيين بعد عودته من جولة تحضيرية لمؤتمر الرياض للحوار اليمني تقوده كل من الرياض والدوحة.

ومن المنتظر أن يستأنف الحوار في صنعاء مساء السبت برئاسة المبعوث الأممي.

من جانبه أصدر الرئيس اليمني عبد ربه منصور هادي عدداً من القرارات منها إعادة عدد من الضباط الذين فصلوا من الخدمة عقب حرب الانفصال في الجنوب عام 1994 في عهد الرئيس السابق علي عبد الله صالح.

كذلك نصّت القرارات على تجنيد نحو عشرين ألفاً من شباب جنوب اليمن لخلق توازن في تكوينات الجيش اليمني.

المعارضة البحرينية: شعبنا يتعرض للإبادة على يد الاحتلال السعودي

قالت القوى الثورية المعارضة في البحرين بأن السكان الأصليين في البلاد يتعرضون للإبادة في ظل استمرار قوات درع الجزيرة واحتلالها للبحرين.

وفي بيان أول من أمس، قالت القوى الثورية (ائتلاف شباب 14 من شباط، تيار العمل الإسلامي، حركة خلاص، حركة أحرار البحرين، حركة الحريات والديمقراطية حق، تيار الوفاء الإسلامي) بأن معاناة البحرينيين تزداد «في كل يوم يمر من دون طرد المحتل السعودي وقوات درع الجزيرة المجرمين من البحرين».

وحيت القوى المواطنين الذين أحيوا فعالية «جمعة كلنا مقاومة» لمناسبة ذكرى اليوم الوطني لمقاومة الاحتلال السعودي للبحرين، وحضورهم الثوري في الساحات.

وقالت القوى، إن «هوية البحرين تتعرض لخطر كبير جداً، وذلك مع تفاقم التجنيس السياسي الطائفي الممنهج»، وأكدت أن هذا يمثل ملفاً خطيراً «يستدعي حملة وطنية محلية ودولية للتصدي له، لما يترتب عليه من آثار مدمرة تهدد مستقبل الأجيال المقبلة».

كما جددت القوى موقفها بشأن مقاومة قوات وطرد القوات السعودية «درع الجزيرة» والدرك الأردني، والتي تساهم في القمع والتعذيب والجرائم ضد أبناء البحرين»، مؤكدة أهمية التضامن مع المعتقلين والمعتقلات الذين يتعرضون للتعذيب والانتهاكات داخل السجون.

استثمارات عربية وأجنبية لدعم الاقتصاد

السيسي: بناء مصر يحتاج 300 مليار دولار

قال الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي، إن بلاده تحتاج من 200 إلى 300 مليار دولار، لكي يكون هناك أمل حقيقي لنحو 90 مليون مواطن مصري في الحياة بصورة جيدة.

وأضاف السيسي، في كلمته باختتام مؤتمر دعم وتنمية الاقتصاد المصري «مصر المستقبل»، أن الحكومة قامت بالتخطيط لإنشاء محافظات جديدة، ضمن مشروع استزراع 4 ملايين فدان، لكن ذلك يحتاج إلى استثمارات ضخمة.

وبدأ الجمعة الماضية، مؤتمر دعم وتنمية الاقتصاد المصري (مصر المستقبل)، بمشاركة نحو 100 دولة من مختلف قارات العالم منها 30 دولة تمثل على المستوى الرئاسي، ونحو 25 منظمة إقليمية ودولية، و2500 مشارك و775 شركة في المؤتمر، بحسب مسؤولين بالحكومة المصرية.

وأوضح الرئيس المصري، أنه طالب الشركات المنفذة للمشروعات التي تم طرحها بالمؤتمر بسرعة إنجازها وبتخفيض تكلفة التنفيذ، وبخاصة مشروع العاصمة الجديدة، مشيراً إلى أنه طلب من المستثمرين تقليل هامش الربح.

وذكر أن مصر ستعقد هذا المؤتمر بشكل سنوي، بحيث يضم كل الدول التي تمر بظروف صعبة، وتابع: «سنعقد المؤتمر الاقتصادي بصفة سنوية ليكون مناسباً لتجمع الدول النامية».

وأضاف السيسي أن مسؤولي شركة «سمنس» الألمانية استجابوا لطلبه وخفضوا قيمة تكلفة 3 محطات بقدرة 13.2 ألف ميغاوات لتصل إلى 2 مليار يورو تقريباً لكل محطة، ومدة التنفيذ من أكثر من عامين ونصف إلى عام ونصف.

واتفق الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي، والرئيس التنفيذي لشركة «سيمنس» الألمانية جو كيسر على قيام الشركة بتخصيص مبلغ 200 مليون يورو، كمساهمة منها لدعم الاقتصاد المصري، وكذلك تخفيض تكلفة إنشاء محطة كهرباء بني سويف (جنوب) التي تتولى الشركة تنفيذها من 2.5 مليار يورو (2.6 مليار دولار) إلى 2.2 مليار يورو (2.3 مليار دولار)، وذلك في بيان رئاسي صدر أول من أمس.

ووصلت إجمالي قيمة المبالغ التي أعلنها لدعم الاقتصاد المصري بنهاية أعمال اليوم الثاني أمس السبت لمؤتمر دعم وتنمية الاقتصاد المصري المنعقد بشرم الشيخ (شرقا)، إلى نحو 132.46 مليار دولار، معظمها استثمارات من شركات عربية وأجنبية، فضلا عن منح محدودة، مما يدفع حصيلة اليومين الأول والثاني إلى 151.76 مليار دولار.

مقاومة إيران ... (تتمة ص1)

مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية حصل أم لم يحصل، لا يعكس إلا عجزها عن الاستمرار والتقدم في الحياة. لم تعد أميركا تجيد فنون السيطرة على عالم يتغيّر بسرعة كبيرة، ولا زيادة جهدها لاحتواء دول تنهض بالاعتماد على ذاتها كالصين وروسيا والهند. وهي تتجمّد في منطقتنا بلا قدرة على المبادرة لفرض شروطها، ولا سطوة تمكّنها من حماية ربيبتها «إسرائيل» التي تعاني مصيراً أسود هذه الأيام.

إذاً، نحن أمام واقع جديد ومستقبل جديد لشعوب منطقتنا. شعوبنا خرجت من الأميّة، وخرجت من الفقر، وستخرج من الاحتلال. نحن أمام آخر عهود الاستعمار بفضل الإيمان وبفعل المقاومة. والمطلوب من أمتنا أن ترفع من مستوى الحركة والنشاط وتنظم نفسها تنظيماً علمياً، فأميركا مصابة بأعراض الانهيار العام، وخروجها من المنطقة يشير إلى نقطة الانكسار، وتقدم حركة الشعوب في البحرين واليمن والعراق، وتصدر المقاومة في فلسطين ولبنان طليعة التاريخ الحديث هي النهاية لإمبراطورية زعمت أنها ستبقى إلى الأبد.

المجتمع العربي والإسلامي يتطوّر. لم يفقد إيمانه على رغم كل المظاهر السلبية التي نشاهدها من خلال ممارسات الجماعات التكفيرية. الأمة تتحوّل إلى طاقة إنسانية هدّارة وعندما اهتدت إلى فكرة المقاومة تحوّل سعيها إلى نيل الحرية الكاملة والبحث عن شروط النهوض.

الاتفاق النووي يتمثل أمامنا كأنه اتفاق سياسي بين إيران والقوى العظمى، ولكن الحقيقة أنّ توقيعه سيجعلنا أمام عالم آخر لا سيادة فيه إلا للحق. تأتي أهمية هذه النظرة من كونها تتيح لنا الوقوف على مراحل التقهقر والانحطاط ولكنها من جانب آخر تتيح لنا أن نعبر إلى المستقبل. صحيح أنّ جزءاً أساسياً من عملية العبور تكمن في فكر الثورة الإيرانية وقوتها. وهذا هو أساس ما بدأه الإمام الخميني عندما أراد تحريك الجماهير وإعطاءها الثقة بأنها قادرة على التغيير والنهوض وصنع التاريخ الجديد. وهو الذي رفع شعارات تدعو المستضعفين للوحدة ومقارعة المستكبرين أينما كانوا. نعم إذا كان من دورة حضارية جديدة تعطي العرب الأمل والحياة والتقدم فلن نخجل أن نقول إنّ هذا الأمر يتحقق بفعل الرؤية الواضحة والفكرة الصحيحة والمقاومة الصلبة للشعب الإيراني الذي تجسدت فيه فضائل الإسلام الفطرية العظيمة!

العلامة الشيخ عفيف النابلسي

أي دولة للخبز ... (تتمة ص1)

الإرهابية في سيناء وانتقالها إلى القاهرة وسائر المدن الكبرى. ومع شيوع الإرهاب والاختلال الأمني والفوضى، فقدت الدولة في مصر الكثير من هيبتها وفعاليتها.

غياب الدولة أو تغييبها في لبنان ومعظم البلدان العربية يجعل الوفاء بمطلبي الخبز والأمن، ناهيك عن مطلب حكم القانون، أمراً بالغ الصعوبة. تزداد الأزمة تعقيداً مع انهيار المجتمع. ذلك أن النسيج الاجتماعي في بلادنا العربية المطبوع بتعددية قَبَلية ومذهبية واثنية عميقة تعرّض على مرّ التاريخ لتدخلات قوى خارجية أمعنت فيه تمزيقاً وتجزيئاً على نحو أنتج ظاهرة لافتة هي خضوع العرب على امتداد ألف سنة من تاريخهم لسلطة حكّام أجانب (راجع كتاب شارل عيساوي: تأملات في التاريخ العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1991).

لم يكن حكّام العرب «الوطنيون» أرحم بهم من حكامهم الأجانب، إذ استخدموا أيضاً العصبيات القبلية والمذهبية والإثنية وسائلَ للتمزيق والتفريق والتحكّم والاستغلال. وليس أدلّ على اعتمادهم هذا النهج من حال الانشقاق السني- الشيعي وتداعياته السياسية والاجتماعية القاسية على مجتمعاتنا كافة، وصعود حركات الإسلام السياسي المتطرف والتنظيمات الإرهابية المعتمدة نهج إدارة التوحّش.

هكذا يجد العرب أنفسهم اليوم، ولا سيما عرب المشرق ووادي النيل، أمام تحدّيْن بالغي الخطورة: التحدي الصهيوني وتحدي الإرهاب. واللافت أن التحديين كليهما يحظيان بدعم قوي ومستدام من دول كبرى كما من قوى سياسية وشرائح اجتماعية واسعة داخل بلادنا.

ما العمل؟

صحيح أنّ للخبز والأمن أولوية مطلقة في حاضرنا، لكن ثمة حاجة أخرى ترتقي أيضاً إلى مرتبة الأولوية هي ضرورة المقاومة والنهضة. يقول ديكارت: أنا أفكر، إذاً أنا موجود. على القوى الحية في أمتنا، أفراداً وجماعات، أن يقول واحِدُها: أنا أقاوم، إذاً أنا موجود. أجل، وجودنا أصبح مشروطاً بمقاومتنا للتحديين الصهيوني والإرهابي. بل إن نهضتنا مشروطة بقدرتنا على مقاومة الفكر الماضوي، بما يحمله من حركات إسلاموية تكفيرية وإرهابية، والانفتاح على ثقافة العقل والحرية والشورى والديمقراطية والعلم والتنمية.

بالمقاومة والنهضة نستطيع أن نحرر أنفسنا من جاهلية معاصرة تحتل حياتنا ومن عبودية للماضي تقتل براعم حاضرنا وتعتقل أحلام مستقبلنا.

من دون الحرية والعقلانية والعلم لا نستطيع أن نعيد بناء مجتمعنا ونؤسس دولتنا. ذلك أن المجتمع الحر المتماسك شرط أساس لبناء الدولة بما هي الإطار الحقوقي والسياسي والاقتصادي والثقافي لإدارة المجتمع وحمايته وإنمائه.

لا أمن وبالتالي لا حكم بالقانون، أو حكم القانون، إلّا بوجود الدولة ومن خلالها. علينا، حتى ونحن في معمعة مقاومة التحديين الصهيوني والإرهابي، أن نباشر بعقلانية وعلم وتخطيط والتزام عملية تأسيس الدولة وبنائها. وإن لم نفعل نكون قد استمرأنا البقاء في ما نحن فيه من ركود وجمود لا ينتجان إلا سلطة قهرية تفرض الأمن بالقمع وتستعيض عن حكم القانون بأهواء الحاكم بأمره.

الدولة المطلوب تأسيسها وبناؤها هي الدولة المدنية الديمقراطية. لماذا؟ لأن مجتمعاتنا العربية تعددية، فلا يعقل أن تكون قيادتها بيد أحد مكوّنات المجتمع دون غيره. ذلك يؤدي إلى اندلاع صراعات فئوية بين المكوّنات المتنافسة، وأحيانا المتقاتلة، على السلطة والثروة والنفوذ. إلى ذلك، فإن جوهر الديمقراطية مساواةُ المواطنين أمام القانون. فهل تصحّ المساواة إذا ما تحوّلت السلطة أداةَ محاصصةٍ وسبيلَ استغلالٍ وفساد؟ فوق ذلك، فإن الديمقراطية، بما هي المساواة أمام القانون، لا تصحّ إلّا بين مواطنين في دولة لا بين رعايا في قبائل وطوائف. فالمواطنة شرط لازم لوحدة الدولة وسيادتها كما لوحدة المجتمع وتماسكه في وجه التحديات الخارجية.

قد يقول قائل إن نهج المقاومة والنهضة مسار طويل، فهل ننتظر استكمال بناء الدولة المدنية الديمقراطية لفرض الأمن وحكم القانون؟

لا شك في أن الأمن وحكم القانون استحقاقان معجّلا الأداء. لذلك يقتضي النهوض للوفاء به أياً كانت حال النظام السياسي. فالسلطة القائمة مدعوة، بقدْر ما تستطيع وتطيق، إلى فرض الأمن واحترام القوانين النافذة وتطبيقها دونما محاباة. ولضمان ذلك يقتضي أن تسهر القوى الحية، حتى وهي في معمعة المقاومة والنهضة، على مراقبة أداء السلطة في مجال فرض الأمن وحكم القانون، حتى إذا وجدت فيه تقصيراً أو انحرافاً، بادرت إلى كشفه للرأي العام وقامت بالضغط على أهل السلطة بكل الوسائل المشروعة لحملها على استدراك التقصير وسدّ النقص وتصحيح الأخطاء. فبناء الدولة المدنية الديمقراطية، شأن المقاومة والنهضة، مسار لا مجرد قرار، بل هو مسار واحد يتسع لنشاط كل القوى الحية ونضالها من أجل تحقيق جملة أهداف أساسية في شتى الميادين.

هل ثمة نهج آخر أجدى وأفعل؟

د. عصام نعمان